ملتقى دولي: تأثير إعجاز القرآن الكريم في الدرس النقدي واللساني بالعربي

عنوان المداخلة

التوظيف اللغوي البلاغي في الصنعة التفسيرية

حاشية الإمام البليدي على أنوار التنزيل للبيضاوي أنموذجا.

د: عبد الغاني عيساوي
أستاذ محاضر أ
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الجهة المنظمة: جامعة بومرداس

الملخص باللغة العربية:

المقال، بيان لجهود الإمام البليدي الجزائري المتوفى بالقاهرة سنة 1167هـ، والذي كتب حاشية على أناور التنزيل للإمام البيضاوي، وهي لحد اللحظة في عداد المخطوطات ولم تطبع بعد، وقد أبان الإمام فيها عن نفس بلاغي كبير، حيث جعل البلاغة والنحو والصرف، من أهم أدوات العملية التفسيرية، ومن أهم مرتكزاته في تحرير كثير من القضايا التفسيرية، فما ملامح المنهج البلاغي للإمام البليدي في العملية التفسيرية وما طريقة توظيفه لها، كل ذلك يجاب عنه في هاته المداخلة.

كلمات مفتاحية: البليدي، أنوار التنزيل، البيضاوي، البلاغة، التوظيف.

Abstract :

The article, a statement of the efforts of the Algerian al-Balidi imam, who died in Cairo in the year 1167 AH, and who wrote a footnote to Anwar al-Tanzil by Imam al-Baydawi, which until this moment is among the manuscripts and has not yet been printed. Interpretation, and one of its most important foundations in editing many interpretive issues, what are the features of the rhetorical approach of Imam Al-Balidi in the interpretive process and what is the way he employs it, all of this is answered in this intervention.

Keywords: Al-Balaidi, Anwar Al-Tanzel, Al-Baydawi, rhetoric, employment.

المقدمة:

لقد كانت الحواضر العلمية الجزائرية بمنتوجها العلمي المعرفي المتنوع، ذات بصمة كبيرة في بنيان الحضارة العربية الإسلامية، إسهاما وتنويعا وانتشارا، وكان هذا المنتوج مزيجا بين الإبداع التأصيلي في الفنون والعلوم، وبين التحشية والتعقيب.

وفي علم التفسير وفي حاضرة الأزهر الشريف، كتب الإمام البليدي الجزائري (1176هـ) حاشية على أشهر تفسير متداول في تلك المرحلة، والذي اعتبره بعضهم أحد أفلاك التفسير في الحاضرة الإسلامية، بعد الكشاف للزمخشري (538هـ)، والجامع للطبري (321هـ)، وهو تفسير الإمام البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، فقد كتب البليدي عليه حاشية وتعقيبات عدها بعضهم من أهمها وأشهرها، وكانت جنبا إلى جنب قيمة وذكرا وحاشية القاضي زاده والشهاب والتفتزاني وغيرهم ممن خدم هذا التفسير بالتحشية عليه.

وفي حاشية الإمام البليدي والتي تعتبر لحد اللحظة من الحواشي المخطوطة غير المطبوعة، نجد نفسا بلاغيا كبيرا ظهر في هذا الجهد، وبان في عملية الامداد والاستمداد في التحشية على تفسير الأنوار، وظهرت شخصية الإمام البلاغية فيها جليا، والتي ذهب بعضهم إلى جعل هاته الحاشية ضمن الاتجاه البلاغي البياني، لما فيها من كبير الاستدلال بالبلاغة والنحو والصرف وغيرها مما كان ظاهرا في عملية التفسير عند الإمام البليدي.

فمن هو الإمام البليدي، وما تعريف حاشيته؟ كيف برزت وظهرت البلاغة في تفسيره، وما أسلوبه في استخدمها لغرض التفسير وبيان أحكامه، كيف ظهرت شخصية الإمام البلدي البلاغية، بين عنصري الابداع والاتباع، وهل ظهرت شخصيته في الترجيحات البلاغية وغيرها أم لا؟

كل هذا سيتطرق إليه الباحث في مداخلته هاته، والتي جعلها على ثلاثة مطالب: الأول: التعريف بالإمام البليدي الجزائري (1167هـ). الثاني: حاشية الإمام البليدي على على أنوار التنزيل للبيضاوي، تعريف وتحليل عام، الثالث: بين الإعجاز اللغوي والإعجاز العلمي في التفسير، الرابع: التوظيف اللغوي البلاغي عند الإمام البليدي في حاشيته، فخاتمة ونتائج وتوصيات. كل هذا بمنهج استقرائي وصفي تحليلي.

المطلب الأول: التعريف بالإمام البَليدي[1] (ت:1176هـ):

مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الحسني المالكي المعروف بالبَليدي، عالم بالعربية والتفسير والقراءات، الثبت الحجة المتقن المتفق على جلالته، ولد سنة 1096هـ، سكن القاهرة وتوفي فيها سنة: 1176هـ، صاحب المجالس بالأزهر الشريف، حلَّاه الحسيني بالقول:"خاتمة المحققين، صَدرُ المدققين، الثَّبت الحجة المتقن، المتفق على جلالته، صاحب التصانيف الشهيرة"[2]، مفسرٌ عالمٌ بالعربية[3]، كانت له يد طولى في علم القراءات[4]، من أهل الجزائر. من **شيوخه:** أحمد بن غانم النفراوي وإبراهيم بن موسى الفيومي ومُحَمَّد بن عبد الباقي الزرقاني ومُحَمَّد بن القاسم بن إسمعيل البقري سمع منه في سنة عشر ومائة قبل وفاته بسنة وهو أعلى ما عند المترجم من مشايخه.

و**تتلمذ** عليه العشرات وأجازهم في كثير من علومه كعبد الرحمن الأجهوري الذي ذكر الكتاني أنه رأى سند إجازة القرآن التي أجازها له شيخه البَليدي، وأبو العباس أحمد بن جاد

1: يقول الزركلي: قلت: سبقت الإشارة إلى البليدي مضبوطا بصيغة التصغير، ورأيت بعد ذلك ما نبَّه إليه تيمور باشا في الخزانة 3/ 39، ورود نص في «سلك الدرر»4: 105 وهو: البَليدي، بفتح الباء ورجح تيمور أن يكون المقصود صاحب الترجمة. واطلع الأستاذ السيد حسن حسني عبد الوهاب التونسي على هذه الكلمة فكتب: الصواب ما قاله تيمور. انظر:"الأعلام"، ج: 7، ص: 68.

2: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، أبو الفضل مُحَمَّد خليل الحسيني، دار ابن حزم، بيرت، ط: 3، ت: 1408 هـ، ج:4 ص:110.

3: الأعلام، خير الدين الزركلي، ج: 7، ص: 68. ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، ج:11 ص:275.

4: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، أبو الفضل مُحَمَّد خليل الحسيني، ج: 4 ص:111.

الله الخناني الذي لازم البَليدي وذكر صاحب «شجرة النور» أنه "انتفع به انتفاعاً كلياً وانتسب إليه وأجازه إجازة مطلقة بخط يده ونوّه بشأنه"،[1] ولازمه عبد الوهاب العفيفي، والسنباوي الأمير الذي أجازه إجازة عامة.[2]

من تصانيفه:«نيل السعادات في علم المقولات»[3] و«حاشية على شرح الألفية للأشموني»[4] و«رسالة في المقولات العشر»[5] و«تهاني الأماني»[6] غيرها.

يعتبر البليدي من أعلام الجزائر القلائل الذين قاموا بالتفسير تدريسا وتأليفا، فقد ذُكر في ترجمته أنه كان "يقرأ «تفسير البيضاوي» في الجامع الأزهر ويحضر درسه أكثر من مائتي مدرِّس ومفيد".[7]

أما في التأليف، فقد كتب البَليدي تأليفين في التفسير، أولهما مفقود ذكره صاحب «سلك الدرر» بالقول:" وله في طريق الجمع مؤلف كبير في كل آية يذكر كيفية الجمع فيها من أول القرآن العظيم إلى آخره"[8]، والجمع في الآيات القرآنية الكريمة يشتمل على أربعة طرائق، الأول: الجمع التفسيري والذي يراد به كشف المدلول الحقيقي للآية القرآنية من

1: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ابن سالم مخلوف، ج: 01، ص: 518.

2: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، مُحَمَّد عَبد الحي الكتاني، ج:1، ص: 134.

3: منه نسخة بدار الكتب المصرية، برقم حفظ: 258/1، ونسخة ثانية بالمكتبة الوطنية الجزائرية، برقم حفظ: 1/1432. ونسخه متوفرة بالمكتبات.

4: منه نسخة بالمكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة، بتونس، برقم:4080، ونسخة ثانية برقم[749]5453 بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة.

5: منها نسخة نفسية بمكتبة بانكيبور بالهند بمدينة بتنه برقم حفظ:1319/18. وفي المكتبة الوطنية بالجزائر نسخة معنونة برسالة في المقولات، للبليدي، برقم: 1/1432.

6: منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم: 184/2، ونسخة ثانية بالمكتبة المركزية بجامعة الإمام بالسعودية برقم حفظ: 7683.

7: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، أبو الفضل مُحَمَّد خليل الحسيني، ج:4، ص:111.

8: المرجع نفسه، ج:4، ص:111.

خلال آية أخرى تتعرض إلى الموضوع ذاته، وهو ما يطلق عند بعضهم بتفسير القرآن بالقرآن.

والثاني: الجمع الترتيبي، والذي يراد به فرز مجموعة من الآيات، وترتيبها ترتيباً يتناسب ومحل البحث كترتيب آيات الخمر لفهم مرحلية هبوط الأحكام الإلهية.

الثالث: الجمع الموضوعي، والذي يراد به فرز الآيات القرآنية التي تتحدث حول موضوع معين، وتصنيفها إلى مجموعات، وترتيب هذه المجموعات حسب تسلسلها المنطقي، ومن ثم استخراج الحكم القرآني النهائي حول ذلك الموضوع.

الرابع: الجمع الاستنباطي، والذي يراد به الجمع بين آيتين من القرآن الكريم لاستنباط حكم تشريعي معين، أو بيان فكرة معينة، وهو جمع يختلف والموضوعي من حيث أن الأول يتم عادة ضمن آيتين أو ثلاث فهو جمع محدود، بينما الجمع الموضوعي يتم عادة ضمن مجموعة كبيرة من الآيات.

والجمع الاستنباطي تكون نتيجته غالباً حكماً شرعياً بينما تتسع آفاق الجمع الموضوعي لتشمل كافة القضايا السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والدينية، وغيرها.

ولا يمكننا بيان أي جمع أراده الإمام البليدي في مخطوطه هذا لفقد نُسخه، وقد يشتمل مخطوطه هذا على أنواع عدة من هذا الجمع بين الآيات القرآنية الكريمة.

الثاني من تآليفه: «حاشية على أنوار التنزيل» والذي سنأتي عليه في المطلب الثاني.

المطلب الثاني: حاشية الإمام البليدي على الشهاب على أنوار التنزيل للبيضاوي، تعريف وتحليل عام:

«حاشية على أنوار التنزيل»[1] للإمام البيضاوي، والتي لا يُعرف لها عنوانٌ محددٌ، وكل من ترجم له ذكر أن له حاشية على «أنوار التنزيل» للبيضاوي دون ذكر لعنوانها، وهي في عداد المخطوطات التي لم تطبع بعد.[2]

وقد تحصلتُ على نسخة منها، هي نسخة دار الكتب المصرية، والتي جاءت في 73 لوحة، من أول غافر إلى سورة الناس، وعلى نسخة كاملة من الشبكة العنكبوتية، لدار الكتب المصرية أيضا، برقم 55، تفسير رواق الشوام، بها 382 لوحة.

والملاحظة أن تسمية النسخة الثانية كان: تلخيص حاشية الشهاب على أنوار التنزيل للبيضاوي، لأَخلُص بعد تصفح المخطوط إلى أن الصحيح في هذا المخطوط أنه حاشية على حاشية الشهاب على أنوار التنزيل للإمام البيضاوي، أي أن الإمام البليدي قام بالتحشية على حاشية الشهاب التي قام بها الشهاب على تفسير الإمام البيضاوي "أنوار التنزيل" رحم الله الجميع، وأنه من الخطأ القول أن البليدي قام بالتحشية مباشرة على "أنوار التنزيل" للبيضاوي، لذا فإن المحقق لهذا المخطوط سيجد نفسه بين كلام ثلاثة من الأعلام، البليدي والشهاب والبيضاوي.

وتعتبر حاشية البَليدي على الشهاب على «أنوار التنزيل» للبيضاوي من أهم الحواشي والتي تذكر جنبا إلى جنب مع حاشية القاضي زاده وأبي السعود والكازروني وغيرها من الحواشي المهمة، ولعل تأليف البليدي لهذا العمل جاء بعد قيامه بشرح تفسير البيضاوي في

1: منه نسخة بدار الكتب المصرية بالقاهرة برقم حفظ45/1 (58)، ونسخة ثانية بالمكتبة الخديويه بالقاهرة أيضا برقم حفظ 164/1 (ن ع 58)، ومنه نسخة بالمكتبة الأزهرية في ثلاث أجزاء، ونسخة مصورة عنه بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بمكه المكرمة برقم حفظ 208/ 210/209 . ونسخة بالمكتبة الحسنية بالرباط تحت رقم: 8948.

2: قمت بالاتصال بالطالب مصطفى حمدان المصري، وأثبت لي أنه يقوم بتحقيقها كرسالة ماجستير بالأزهر الشريف. الشريف.

حلقاته ودروسه بالأزهر الشريف، والذي كان يحضره أكثر من مائتي مدرس ومفيد، لذا فأرجح تأليفه لهذه الحاشية بالقاهرة ببلاد الأزهر الشريف أثناء تدريسه فيه.

المطلب الثالث: بين الإعجاز اللغوي والإعجاز العلمي في التفسير:

في تعريف الإعجاز اللغوي البلاغي أنه بلوغ المتكلم بعباراته كنه مراده مع إيجاز بلا خلل وإطالة من غير ملل، وقد حُصر موضوع الإعجاز القرآني عند القدماء في الإعجاز البلاغي البياني، كما حُصر في التدليل على عجز الإتيان بمثله كاملا أو بعضه أو حتى بآية منه من حيث بلاغته وفصاحته، وأنه نازل بين ظهراني أهل اللغة والفصاحة، لذا نجد كل من كتب في هذا الباب في تلك المرحلة المبكرة، كان يدندن حول هاته المسألة ولم يتطرق للإعجاز العلمي، فما كتب الجاحظ أبو عثمان (ت:255هـ) كتابه: "نظم القرآن" إلا تدليلا على هاته المسألة، وردا على القائلين بمقولة الصَّرفة، أي أن الله تعالى صرف العرب عن الإتيان بمثل القرآن في بلاغته وفصاحته.

كذلك فعل الخطابي أبو سليمان (ت:388هـ) في مصنفه "بيان إعجاز القرآن"، الذي كتبه لتقرير أن القرآن الكريم معجز في بلاغته وفصاحته وفي قدرته على توصيل المعاني والأخبار والحقائق الحاضرة والبائدة والقادمة، ورفعا للتحدي في هذا المضمار بذلك الشكل، إذ يقول:" فتَفَهَّم الآن واعلم، أن القرآن إنما صار معجزًا لأَنه جاءَ بأَفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنًا أصح المعاني، من توحيد له عزت قدرته، وتنزيه له فى صفاته، ودعاء إلى طاعته، وبيان بمنهاج عبادته من تحليل وتحريم وحضر وإباحة، ومن وعظ وتقويم وأمر بمعروف ونهي عن منكر وإرشاد إلى محاسن الأخلاق وزجر عن مساوئها، واضعًا كل شيءٍ منها موضعه الذي لا يرى شيء أولى منه، ولا يرى في صورة العقل أمر أليق منه، مودعًا أخبار القرون الماضية وما نزل من مَثُلات الله بمن عصى وعاند منهم، منبئًا عن الكوائن المستقبلة في

الأَعصار الباقية من الزمان، جامعًا في ذلك بين الحجة والمحتج له، والدليل والمدلول عليه، ليكون ذلك أوكد للزوم ما دعا إليه، وإنباء عن وجوب ما أمر به، ونهى عنه.

ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور، والجمع بين شتاتها حتى تنتظم وتتسق، أمر تعجز عنه قُوى البشر ولا تبلغه قدرتهم، فانقطع الخلق دونه وعجزوا عن معارضته بمثله أو مناقضته فى شكله".[1]

ونفس الأمر والحكم ينسحب على الباقلاني أبو بكر (ت:403هـ) في مصنَّفه "إعجاز القرآن" الذي حصر إعجاز القرآن في ثلاث: الإخبار عن الغيوب، قصص الأولين وأخبار الماضين، بداعة النظم.

والجرجاني أبو بكر(ت:471هـ) الذي جعل غاية الإعجاز وكماله في سقفه هو إعجاز النَّظم، في كتابه"دلائل الإعجاز"، إذ يقول:" فإذا بطل أن يكون الوصف الذي أعجزهم من القرآن في شيء ممّا عدّدناه، لم يبق إلّا أن يكون في النّظم".[2]

قلتُ: وانظر تعدد أوجهه عند المعاصرين بعد ظهور العلوم واتساع الآفاق المعرفية، وظهور علم الاجتماع والاقتصاد والسياسة وغيرها، حيث جعل الإمام الزُّرقاني (1948م) –مثلا– وجوه إعجازه في 14 وجها، أتى على شرحها واحدة تلو الآخرى، فلتنظر في بابها.[3]

يتقرر أن القول بجواز التفسير العلمي، والقول بالإعجاز العلمي والبلاغي للقرآن الكريم وآياته، ليس تخصيصا وحصرا لدور القرآن الكريم، بل هو المتفرع عن الأصل الهدائي التدبري له، وأن الأصل في القرآن الكريم هو الهداية والتدبر.

1: بيان إعجاز القرآن، حمد بن مُحَمَّد الخطابي، تح: مُحَمَّد خلف الله، مُحَمَّد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط:03، ت: 1976م، ص: 28.

2: دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1،ت: 2001م، ص: 251.

3: مناهل العرفان في علوم القرآن، مُحَمَّد عبد العظيم الزرقاني، ج:02، ص:332- 405.

يوضح هذا المعنى بأكثر دقة الإمام الزُّرقاني إذ يقول:" إن القرآن الكريم **كتاب هداية وإعجاز**، من أجل هذين المطمحين نزل وفيهما تحدَّث وعليهما دلَّ، فكل علم يتصل بالقرآن من ناحية قرأنيته أو يتصل به من ناحية هدايته أو إعجازه فذلك من علوم القرآن، وهذا ظاهر في العلوم الدينية والعربية.

أما العلوم الكونية، وأما المعارف والصنائع وما جدَّ أو يَجدُّ في العالم من فنون ومعارف كعلم الهندسة والحساب وعلم الهيئة والفلك وعلم الاقتصاد والاجتماع وعلم الطبيعة والكيمياء وعلم الحيوان والنبات، فإن شيئا من ذلك لا يجمل عدُّه من علوم القرآن، لأن القرآن لم ينزل ليدلل على نظرية من نظريات الهندسة مثلا ولا ليقرر قانونا من قوانينها، وكذلك علم الهندسة لم يوضع ليخدم القرآن في شرح آياته أو بيان أسراره.

وهكذا القول في سائر العلوم الكونية والصنائع العالمية، وإن كان القرآن قد دعا المسلمين إلى تعلِّمها وحذقها والتمهُّر فيها خصوصا عند الحاجة إليها. وإنما قلنا: إنه لا يجمل اعتبار علوم الكون وصنائعه من علوم القرآن مع أن القرآن يدعو إلى تعلمها، لأن هناك فرقا كبيرا بين الشيء يحث القرآن على تعلُّمه في عموماته أو خصوصاته، وبين العلم يدل القرآن على مسائله أو يرشد إلى أحكامه أو يكون ذلك العلم خادما للقرآن بمسائله أو أحكامه أو مفرداته، فالأول ظاهر أنه لا يُعتبر من علوم القرآن بخلاف الثاني، وهو ما نريد أن نرشدك إليه وأن تحرص أنت بدورك عليه.[1]

المطلب الرابع: التوظيف اللغوي البلاغي عند الإمام البليدي في تفسيره:

تندرج حاشية الإمام البليدي تحت قسم التفسير بالرأي، وإن كانت متوفرة على بعض ملامح التفسير بالمأثور، كمنهج البيضاوي في أنواره الذي صنفه الباحثون تحت قسم التفسير بالرأي، وقد كان البليدي تابعا للبيضاوي في طريقة التفسير، والتفسير بالرأي من أكثر ملامحه الاهتمام باللغة والترجيح بها، واستخدام التوظيف البلاغي قصد بيان إعجاز القرآن الكريم.

1: انظر: مناهل العرفان، ج:01، ص: 24.

كان الإمام البليدي إماما لغويا نحريرا، مهتما بالقضايا اللغوية وتوظيفها في حاشيته هاته على أنوار التنزيل، لذا فإنه قد أكثر من التعرض للمسائل اللغوية والإعرابية، وظهر اهتمامه بالنقل عن أئمة اللغة من البصريين والكوفيين في حاشيته هاته، قاصدا الربط بين التوجه اللغوي والإعجاز فيه، فقد كان واضحا استعماله لفن البلاغة والنحو واللغة والمعاني في تفسيره للآيات القرآنية، بل كان يذكر أقوال المدارس كالكوفية والبصرية ويبين أوجه الخلاف فيما بينهما ثم يقوم بالترجيح.

كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ ﴾ [غافر: 10]، قال البليدي:" قوله: فيقال لهم: الفاء سببية هذا على مذهب البصريين، وعند الكوفيين لا تقدير، لأن ما هو بمعنى القول كالقول".[1]

ولم يكن ناقلا فقط، بل مرجحا مصححا أحيانا، كما في حديثه عن "إضافة التمحض"، قال البليدي عند شرحه لكلام البيضاوي في قوله تعالى: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِى ٱلطَّوۡلِ ﴾ [غافر: 3]، قال:" قوله: والإضافة فيها حقيقة، نص سيبويه أن كل ما إضافته لفظية يجوز أن يقوى بإضافة التمحض، إلا الصفة المشبهة فلا تتعرف بالإضافة أبدا، وحكى صاحب «المقنع»[2] عن الكوفيين أنها كغيرها تتعرف بالإضافة، وهو خطأ عند البصريين، قلت: إن الفرق على ما لسيبويه أن اسم الفاعل يدل على التجدد، فإذا لوحظ فيه الحدوث والدوام دون التجدد كانت إضافته محضة، إذ لا بد لكونه مقارنا للزمن دالا على الحدوث بخلاف الصفة المشبهة، فليست بمعنى الحدوث ولا يشترط في عملها الزمن، فلما

1: مخطوط حاشية البليدي على أنوار التنزيل للبيضاوي، لوحة رقم: 04. ولا يقال في نسخ المخطوط: المرجع نفسه.
2: المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، لأبي عمر عثمان بن سعيد الداني (ت444هـ).

فقد شرط عمله من الدلالة على زمن مخصوص، لم يكن مضافا لمعموله، فتكون إضافته معنوية بخلاف الصفة المشبهة".[1]

فانظر كيف خرج الإمام البليدي بقاعدة جمع فيها بين مسلك البصريين والكوفيين، في إضافة التمحض، بأنه إن لوحظ في اسم الفاعل الحدوث والدوام دون التجدد كانت إضافته محضة، مفرقا بينها وبين التي في الصفة المشبهة.

وكان الإمام البَليدي مكثرا من استخدام علم البلاغة بأقسامها في بيان مراد الآية، كقوله في شرحه لكلام البيضاوي عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ **قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ** ﴾ [فصلت: 9]، "المراد من الأرض ما في جهة السُّفل من الأجرام البسيطة، ومن خلقها فِي يومين أنه خلق لها أصلاً مشتركا"[2]، قال:"فيكون مجازا مرسلا والعلاقة اللزوم، لأن الأرض ملزومة بالسفل".[3]، فاستدل بالمجاز المرسل على نوع العلاقة التي هي علاقة اللزوم.

وكما في شرحه لكلام البيضاوي عند قوله تعالى:﴿ **يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ** ﴾ [ق: 30]:"سؤال وجواب جيء بهما للتخييل والتصوير". قال البليدي: "قوله: للتخييل، أي المجاز بطريق الاستعارة بالكناية، تشبيه النار بمن يخاطب، والأول أمس لأن التمثيلية منار فرسان البلاغة فهي أبلغ."[4]

1: مخطوط حاشية البليدي على أنوار التنزيل للبيضاوي، نسخة دار الكتب المصرية، لوحة رقم: 03.

2: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله البيضاوي، ج:5، ص: 67.

3: مخطوط حاشية البليدي على أنوار التنزيل للبيضاوي، لوحة رقم: 12.

4: مخطوط حاشية البليدي على أنوار التنزيل للبيضاوي، للبليدي، لوحة رقم:38.

وعن استخدامه علم النحو في تفسيره، فيظهر جليا كما في شرحه لكلام البيضاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ٣٦ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾[الزخرف: 36،37]:"وجمع الضميرين للمعنى إذ المراد جنس العاشي والشيطان المقيض له. ﴿وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ الضمائر الثلاثة الأول له والباقيان للشيطان"، قال البليدي:" قوله: والضمائر الثلاثة الأول، الضمائر مبتدأ أول، وقوله: الأول بتشديد الواو مبتدأ ثان، وله أي من يعش خبر الثاني والجملة خبر الأول، وجملة والباقيات إلى آخره عطف على الأول له، يعني أن ضمير يحسنون للعاشي ، وضميري أنهم مهتدون، أي المنصوب في أنهم والمرفوع في مهتدون، لكن قال السمرقندي: الضمائر الثلاثة للعاشي يعني أن العاشين يحسبون أنهم مهتدون بإغواء الشياطين، وعليه الشيخ القرطبي، وهو أسلم من تفكيك الضمائر وعلى الأول المعنى العاشي يحسب أن إغواء الشياطين هدى".[1]

وعند قوله: "والإضافة فيها حقيقة" نصّ سيبويه على أن كل ما إضافته لفظية يجوز أن ينوي بإضافة التخصص، إلا الصفة المشبهة فلا تتعرف بالإضافة أبدا ."كما ينصّ على الأمور الخلافية عند النحويين، ومثاله ":الحال الماضية يلزم معها" قد "ولو تقديرا عند البصريين، ويجوز مطلقا بدون" قد "عند الأخفش والكوفيين."

كما استخدم الصرف في مواطن عدة، كما عند قول البيضاوي:"ومنه السجير للصَديق" في تفسير قوله تعالى: ﴿ فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ﴾ [غافر: 72]، قال

1: مخطوط حاشية البليدي على أنوار التنزيل للبيضاوي، لوحة رقم:27، 28.

البليدي:"ومنه قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ﴾[الطور: 6]، والسَّجور بالفتح ما يُسجر به وبابه نصر، وقوله بوزن فعيل بمعنى مفعول، كما في القاموس".[1]

وعند قوله: أو الشديد عقابه: فيكون صفة مشبهة، وهي لا تتعرف بالإضافة عند البصريين، فتُجعل معرّفة بلام مقدرة، قال الأخفش: تقدّر في نحو":ما يحسن بالرجل مثلك أن يفعل ولا بالرجل خير منك أن يفعل، عكس" جاؤوا الجماء الغفير". وأيضا" : فإنه يُضرب لمن حُرم من مراده الأن، بسبب ما صدر منه فيما مضى، فيصير الحرمان فيما مضى ، وضيعتِ بكسر التاء، ولو استعمل لمذكر أو مثنى أو مجموع، لأن الأمثال لا تُغير، وهي من باب الاستعارة، ورُوي :في الصيف ضيعتِ اللبن، وأصله المرأة التي طلقت نفسها من مسنٍ، وتزوجت شابا فقيرا، ثمّ طلبت لبنا، فقال لها :ذل."

كل هات الأوجه يدلل به الإمام البليدي على بلاغة القرآن الكريم وعلى إعجازه، ولم يكن مقررا لمذهب البصريين والكوفيين وأهل اللغة، بقدر ما كان يؤسس ويصحح لكثير من القضايا اللغوية والبلاغية التي تزيد من ظهور الإعجاز القرآني.

الخاتمة:

يظهر جهد الإمام البليدي الجزائري (1167هـ) في حاشيته هاته على الأنوار للبيضاوي، ومدى استخدامه للبلاغة وتوظيفه لها، حتى عدها بعضهم ضمن الاتجاه اللغوي البلاغي، لكثير ما استدل به وحرره صاحبها في العملية التفسيرية.

وقد ظهرت شخصية الإمام البليدي في القضايا البلاغية النحوية الصرفية، إذ لم يكن مقررا لمذهب دون آخر، بل كان محررا مناقشا لبعض الأقوال مرجحا لمذهب على آخر.

1: مخطوط حاشية البليدي على أنوار التنزيل للبيضاوي، لوحة رقم:10.

ونهيب بالطلبة الجزائريين في مساق الماستر والدكتوراه أن يعتنوا بهاته الحاشية وأن يقوموا بتحقيقها وإخراجها من عالم المخطوط إلى عالم المطبوع الأكاديمي، وأن تتم مناولتها ودراستها في الكثير من القضايا اللغوية والعقدية والفقهية والقراءات وغيرها.

قائمة المصادر والمراجع:

1. حاشية البليدي على أنوار التنزيل للبيضاوي، نسخة بدار الكتب المصرية بالقاهرة برقم حفظ45/1 (58).
2. نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التنبكتي، كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، ط:1، ت:1989م.
3. موسوعة تراجم علماء الجزائر، علماء تلمسان وتوات، عبد الحق حميش، محفوظ بوكراع، دار زمورة، الجزائر، ط خ، ت: 2011م.
4. المفسرون الجزائريون عبر القرون، مُحَمَّد المختار إسكندر، مطبعة دحلب، الجزائر، دط، دت.
5. معجم أعلام الجزائر من صَدر الإسلام حتى العصر الحَاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط:02، ت:1980م.
6. معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط: 03، ت: 1409هـ/1988م.
7. فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، بشير ضيف بن أبي بكر، دار ثالة، الجزائر، ط:02، ت:2007.
8. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، مُحَمَّد عَبد الحي الكتاني، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:2، ت: 1982م.
9. تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، ط خ، ت: 2011م.

10. الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط:15، ت: 2002م.